

ابن الرومي

أبيات من بائية ابن الرومي:

ابن الرومي هو أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ جَرِيحٍ ، وقيل : جُورْجِيْسُ المعروف بِابْنِ الرُّومِيِّ شَاعِرٌ من شُعَرَاءِ القرن الثالث الهجري في العصر العباسي.

ولد بالعقبة في بغداد (٢ رجب ٢٢١ هـ - ٢٨٣ هـ) الموافق (٨٣٦ م - ٨٩٦ م) ، وكان ابن الرومي مولى لعبد الله بن عيسى ، ولا يشك أنه رومي الأصل ، فإنه يذكره ويؤكد في مواضع من ديوانه ، وكانت أمه من أصل فارسي ، وهي امرأة تقية صالحة رحيمة ، كما هو واضح من رثائه لها .

وابن الرومي شاعر كبير من العصر العباسي من طبقة بشار والمتنبي ، شهدت حياته الكثير من المآسي التي تركت آثارها على قصائده ، تنوعت أشعاره بين المدح والهجاء والفخر والثناء ، وكان من الشعراء المتميزين في عصره ، امتاز شعره بدقة التصوير ، وسعة الخيال ، وعمق الفكرة وكان حاد الذكاء ، صادق العاطفة ، يجمع بين الطرافة والواقعية في شعره وله ديوان شعر مطبوع .

قصيدة ابن الرومي

عدوك من صديقك مستفاد	فلا تستكثرن من الصّحاب
فإن الداء أكثر ما تراه	يحول من الطعام أو الشراب
إذا انقلب الصديق غدا عدواً	مبيناً والأمور إلى انقلاب
ولو كان الكثير يطيب كانت	مُصاحبة الكثير من الصواب
ولكن قل ما استكثرت إلا	سقطت على ذئاب في ثياب
فدغ عنك الكثير فكم كثير	يُعاف وكم قليل مُستطاب
وما اللّجج الملاح بمُرويات	وتلقى الرّي في النّطف العذاب

نوع القصيدة وموضوعها

القصيدة الشعرية من البحر الطويل، وتُعرف بالبنائية لأن حرف الروي فيها هو الباء. موضوعها أخلاقي اجتماعي، يتناول نصائح في اختيار الأصدقاء والحذر من الأعداء المقنعين بلباس الصداقة.

تحليل القصيدة:

تعكس قصيدة ابن الرومي حكمة الشاعر في التعامل مع الناس، حيث تجمع بين الحذر والثقة بدكاء. استخدم لغة فصيحة وصوراً شعرية دقيقة، لتوضيح القيم الأخلاقية والتربوية، مما يجعلها قصيدة تعليمية تصلح للاقتداء بها في الحياة اليومية.

ويلاحظ أن ابن الرومي استخدم أسلوب المقارنة والتشبيه ليقنع القارئ بفكرته فجعل الخداع في العلاقات كالمرض الذي ينشأ من داخل الجسم لا من خارجه، في دلالة على أن العداوة قد تنشأ من الداخل لا من الخارج.

عدوك من صديقك مستفاداً فلا تستكثرن من الصّحاب

أي أن العدو الحقيقي قد يخرج من بين الأصدقاء، فلا تغتر بكثرة الصحبة، فلا تجعل كثرة الأصدقاء هدفاً، فالقلة الصادرة خير من الكثرة المنافقة.

فإن الداء أكثر ما تراه يحول من الطعام أو الشراب

يشبه الشاعر الصداقة بالطعام والشراب، فكما أن الداء قد يأتي من الطعام نفسه، كذلك العداوة قد تأتي من أقرب الناس.

إذا انقلب الصديق غداً عدواً مُبيناً والأمر إلى انقلاب

يبين أن تبدل الصديق إلى عدو أمر مألوف في الدنيا، وعلى الإنسان أن يكون متوازناً في ثقته.

ولو كان الكثير طيباً كانت مُصاحبة الكثير من الصواب

لو كانت كثرة الأصدقاء خيراً دائماً، لكان الناس أكثرهم سعادة، لكن الواقع يُظهر العكس.

ولكن قلّ ما استكثرت إلّا سقطت على ذئاب في ثياب

أي أن العلاقات الكثيرة لا تدوم غالباً، وسرعان ما تسقط وتنتهي بسبب الخداع أو المصلحة.

فدع عنك الكثير فكم كثير يُعافٍ وكم قليلٍ مُستطابٍ

يُشير إلى أن القليل من الأصدقاء الصادقين خير من الكثير الذين يظهرون اللين وفي قلوبهم الغدر.

وما اللّجج المِلاحُ بمُروياتٍ وتلقى الرّيّ في النّطفِ العذابِ

اللّجج: جمع لُجة، وهي مياه البحر الكثيرة المتلاطمة.

المِلاح: جمع مالح، والمقصود بها المياه المالحة التي لا تصلح للشرب.

بمرويات: أي لا تسدّ العطش ولا تروي الظمأ.

النّطف: جمع نطفة، وهي القليل من الماء (القطرات أو الجداول الصغيرة).

العذاب: جمع عذب، وهو الماء الطيب السائغ شربه.

في هذا البيت شرح فلسفي واجتماعي غاية في العمق فهو يضرب مثلاً من الطبيعة ليؤكد حقيقة إنسانية؛ فالبحر بعظمته وامتداده وأمواجه الهائلة (اللجج) قد يبهرك منظره، لكنك لو كنت ظمآنًا لم تستطع أن تشرب منه جرعة واحدة تروييك بسبب ملوحته. وفي المقابل، قد تجد ريك ونجاتك من الهلاك في كمية ضئيلة جداً من الماء طالما أنها عذبة ونقية.

القيم الأخلاقية والتربوية في القصيدة:

الدعوة إلى الحذر من الأصدقاء المزيفين ، التأكيد على أهمية الصدق والإخلاص في العلاقات.

الحث على الاعتدال في الثقة بالناس، بيان أن القلة الصادقة خير من الكثرة المنافقة.

إظهار عمق التجربة الإنسانية التي مر بها الشاعر.

الصور البلاغية في القصيدة:

التشبيه: فإن الداء أكثر ما تراه يحول من الطعام أو الشراب شبه العدو الذي يتخفى في ثوب الصديق بالداء الذي يأتي من الطعام المفيد ظاهريًا.

الطباق: بين صديقك - عدوك ، اللطف - العذاب.

الاستعارة: جعل الصداقة والعداوة أمرين ماديين ينتقلان ويُقاسان كالطعام والداء.

الأسلوب والمعجم اللغوي:

تميز أسلوب ابن الرومي بالوضوح والدقة والعمق، واستخدام كلمات ذات دلالة نفسية واجتماعية، مثل عدوك صديقك، الصحاب الداء العذاب.

يغلب على الألفاظ طابع التحذير والنصح، وهو ما ينسجم مع هدف القصيدة التربوي.

القيمة الفنية:

القصيدة نموذج للشعر الأخلاقي في العصر العباسي، فهي تجمع بين الصدق الفني والتجربة الشخصية، وتدل على نضوج فكر الشاعر وقدرته على صياغة الحكمة في قالب شعري مؤثر.

قصيدة ابن الرومي تحمل بين أبياتها قيماً أخلاقية وتربوية خالدة، تحث على الحذر في العلاقات الاجتماعية، وعلى التوازن في الثقة بالناس، كما تبرز عمق فكر الشاعر ودقته في تصوير النفس البشرية. فهي ليست مجرد نص أدبي، بل دروس حياتية ترشد الإنسان إلى الاعتدال في ثقته بالناس، وإلى فحص النوايا قبل منح الصداقة.

فهي مرآة لنفس بشرية متألمة خربت الناس، فصاغت من التجربة شعراً خالداً يجمع بين الحكمة والأخلاق والبلاغة.